

أضواء البيان

@ 78 @ العدم لا يخلق شيئاً لأن فاقده الشيء لا يعطيه ، والعدم ليس أمراً وجودياً حتى يمكن له أن يوجد موجوداً . .

أم هم الخالقون ؟ .

وهم أيضاً يعلمون من أنفسهم أنهم لم يخلقوا أنفسهم ، فيبقى المخلوق لا بد له من خالق ، وهو الله تعالى : الخالق البارئ . .

ولو قيل من جانب المنكر : إن ما نشاهده من وجود الموجود كالإنسان والحيوان والنبات يتوقف وجوده على أسباب نشاهدها ، كالأبوين للحيوان وكالحرث والسقي للنبات إلخ ، قوله تعالى : { الْمُمْصَوْرُ } ، فهل الأبوان يملكان تصوير الجنين من جنس الذكورة أو الأنوثة أو من جنس اللان والطان والطول والقصر والشبه ؟ .

الجواب : لا وكلا ، بل ذلك وحده ، هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ، كما قال تعالى : { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يُهَبِّئُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْشَاءً وَيُهَبِّئُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يَزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْشَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّ رَبَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } . .

وكذلك في النبات ، توضع الحبة وتسقى بالماء ، فالتربة واحدة ، والماء واحد ، فمن الذي يصور شكل النبات هذا نجم على وجه الأرض ، وذاك نبت على ساق ، وهذا كرم على عرش ، وذاك نخل باسقات ، فإذا طلعت الثمرة في أول طورها فمن الذي يصورها في شكلها ، من استدارتها أو استطالتها أو غير ذلك ، وإذا تطورت إلى النضج فمن الذي يصورها في لونها الأحمر أو الأصفر أو الأسود أو الأخضر أو الأبيض ؟ هل هي التربة أو الماء أو هما معاً ، لا وكلا . إنه هو الله الخالق البارئ المصور ، سبحانه له الأسماء الحسنی يسبح له ما في السموات والأرض طوعاً وكرهاً . .

وهنا عود على بدء يختم السورة بما بدأت به مع بيان موجباته واستحقاقه ، وآيات وحدانيته ، سبحانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم .